القائمين بالبيع في المعرض طواقي وعمائم وطرابيش ليصيروا فلاحين وبدوا وأفندية، واستقدموا من مصر خمسين حمارا يرافقهم عدد مساو من المكاريين، (يشير الكاتب إلى ما حققته الحمير من نجاح باهر في المعرض إذ تزاحم عليها الرواد مما تسبب في فوضى وضوضاء اضطرت المنظمين إلى تحديد مواقيت الركوب بتعيين ساعات لها كل يوم). كانت الحارة حقيقية جدا، كاملة الأركان: البيوت، المعممون والمطربشون، والحمير والمكاريون، وبطبيعة الحال، المسجد. لم يقل لنا الكاتب إن كان المنظمون استقدموا مؤذنا يكمل المشهد بالآذان خمس مرات في مواقيت الصلاة، أم قرروا أن ذلك يضيف إلى الجلبة، ولكنه يشير إلى استعراب وفد من الأساتذة المصريين (لم يذكر لنا إن كانوا معممين أو مطربشين أو يرتدون قبعات لزوم السفر) كانوا في طريقهم لحضور مؤتمر للمستشرقين في السويد، توقفوا في باريس خصيصا لزيارة المعرض وزاروا الجناح المصري وأعربوا عن عظيم استغرابهم، لأنهم عندما دخلوا المسجد اكتشفوا أنه لم يكن سوى واجهة لمسجد، وأن بداخله مقهى يقدم المشروبات والأراجيل لروّاده، وترقص فيه الفتيات رقصاً شرقياً ويقوم الفتيان بدور الدراويش. (ولا يفيدنا الكاتب هنا إن كانت الراقصات والدراويش استقدموا من مصر مع الحمير والمكاريين وباقي المعروضات، رتّب الأمر باستقدام سيدة عارفة بفنون المهنة درّبت الفرنسيات، ودرويش واحد علم الراقصين الفرنسيين). نعود إلى دهشة أعضاء الوفد المصري المسافر إلى السويد وهي دهشة أفادتنا، لأنها دفعت أحدهم إلى تسجيل تفصيلة لم يكن ليلتفت إليها الرواد الفرنسيون، إذ نرجّح أنهم لم ينتبهوا لغرابة الأمر، ربما ظنوا أن المساجد واجهات لملاهي.

(ليست هذه التفصيلة وحدها هي ما استوقفني في الكلام عن معرض عام ١٨٨٩. أفرد منظمو المعرض مبنى قائما بذاته لعرض كرة أرضية قطرها ١٢ مترا و٧٥ سم ومحيطها ٤٠ مترا تُظهر مواقع البلدان والمدن وتصاريسها الجغرافية. ولم تكن هذه الكرة على ما يبدو مجرد تذكير بما أُنجز من استكشاف